

نفحات القرآن

[283] تمهيد : إنَّ مفهوم (توحيد الأفعال) في تفسيره المبسَّط والواضح يعني أنَّ الكون بأسره هو فعل الله ، وكلُّ الأفعال ، والحركات ، والتأثيرات ، والتأثيرات تنتهي إلى ذاته المقدَّسة ، وفي الحقيقة (لا مؤثِّر في الوجود إلاَّ الله) ، فالسيف حينما يقطع والنار حينما تحرق والماء حينما يروي النباتات كلها بإرادته وأمره ، وباختصار فإنَّ أثر كلِّ موجود يكون من جهة الله سبحانه . وبعبارة أخرى : إنَّ الموجودات كما أنَّها تابعة في أصل وجودها إلى ذاته فإنَّها كذلك في تأثيرها وفعلها . ولكن هذا المعنى لا ينفي عالم الأسباب وحاكمية قانون العلوية ، وطبقاً للحديث المعروف عن الإمام الصادق (عليه السلام) " أبى الله أن يجري الأشياء إلاَّ بأسباب " (1) . كما أنَّ الاعتقاد بتوحيد الأفعال لا يستوجب الاعتقاد بأصل الجبر وسلب الحرية من إرادة الإنسان ، كما ستنمُّ الإشارة إلى ذلك لاحقاً بإذن الله . بهذا التمهيد نراجع القرآن الكريم ونبحث عن فروع توحيد الأفعال ونذهب أولاً إلى توحيد الخالقية فنستمع خاشعين إلى الآيات الآتية : 1 - (ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ) سورة الأنعام - 102 . 2 - (قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) سورة الرعد - 16 . 3 - (هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَانْزِلْهُ تُفُوكُمْ) سورة فاطر - 3 . 1 - أصول الكافي : باب معرفة الإمام الحديث 7 م 183 .